الفصل العاشر

الملولون

41

لعله لا يوجد مؤشر على نضج مجتمع ما للحركة الجماهيرية أدق من انتشار الملل الذي لا يجدي معه علاج. في كل التحليلات التي تتناول فترات ما قبل الحركة الجماهيرية هناك إشارة إلى شعور عام باللامبالاة، وتجد الحركة الصاعدة من المتعاطفين والمتحمسين بين الملولين أكثر مما تجده بين ضحايا الاستغلال والظلم. يفرح الذي يحاول نشر حركة جماهيرية، حين يرى الناس يعانون الملل الخانق، مثلما يفرح حين يجدهم يعانون وطأة ظلامات اقتصادية أو سياسية لا تطاق.

عندما يشعر الناس بالملل فإنهم، في الحقيقة، يملّون أنفسهم مصدر الملل الأول هو الشعور بخواء الحياة، وبافتقارها إلى أي معنى. إن الأشخاص الذين لا يشعرون بالعزلة، كأولئك المنتمين إلى وحدة قبلية، أو إلى كنيسة، أو إلى حزب، لا يكونون، عادة، عرضة للملل، ولا يشعر الإنسان بالملل عندما يكون منهمكًا في عمل إبداعي، أو في مهنة تستنفد طاقاته، أو في صراع دائب من أجل العيش. والبحث عن العزو، وما يتبعه من انحلال، ليس علاجًا ناجعًا للملل. عندما يعيش الناس ضمن وجود منعزل، وتكون أحوالهم المالية جيدة، إلا

أنهم لا يتمتعون بأي مواهب أو فرص للإبداع أو العمل النافع، فإنهم يلجؤون إلى تصرفات غريبة وتقلبات مدهشة على أمل إضفاء قدر من المعنى والهدف على وجودهم.

والملل هو الذي فسّر لنا ظاهرة أخرى: كثرة العوانس والسيدات اللواتي تجاوزن منتصف العمر في بدايات الحركات الجماهيرية. حتى عندما نكون بصدد حركة لا ترحب بعمل المرأة خارج المنزل، كالنازية، نجد نساءً كالمشار إليهن يؤدين دورًا كبيرًا في نشأة الحركة(*). هناك شبه، من نوع ما، بين انضمام المرأة إلى زوج وانضمامها إلى حركة جماهيرية. في الحالتين هناك هدف جديد ومستقبل جديد وهوية جديدة (اسم جديد). إن الملل الذي تشعر به العوانس والنساء اللواتي لم يعد بوسعهن العثور على السعادة والرضا في الزواج ناتج أساسًا عن ضيقهن بحياة عقيمة فاشلة. وعندما يعتنق هؤلاء النسوة قضية مقدّسة يسخرن لها وجودهن كلّه وطاقاتهم كلها، فإنهن يجدن حياة جديدة مليئة بالمعنى والهدف.

استغلّ هتلر، بشكل بارع، سيدات المجتمع الظامئات إلى المغامرة اللاتي سئمن حياتهن الفارغة، ولم يجدن أي متعة في

(*) يرى المؤلف أن الظاهرة نفسها تنطبق على الإسلام أول ظهوره، وما ذكره موضع نظر ولا دليل عليه (المترجم).

العلاقات العاطفية»[1] تلقى هتلر مساعدات مالية من زوجات أعظم الصناعيين في ألمانيا قبل أن يسمع أزواجهن به[2]. وتتحدث ميريام بيرد عن دور مماثل لزوجات رجال الأعمال الملولات قبل الثورة الفرنسية: «كن مسحوقات بالملل والضيق والقلق، فاندفعن إلى الترحيب بالجديد القادم»[3].

(1) Herman Rauschning, Hitler Speaks (New York: G. P. Putnam's Sons, 1940), P. 2688.

(2) Ibid.

(3) Mirian Beard, A History Of The Bus, Nessman, (New York: Macmillan Company, 1938), P. 462.